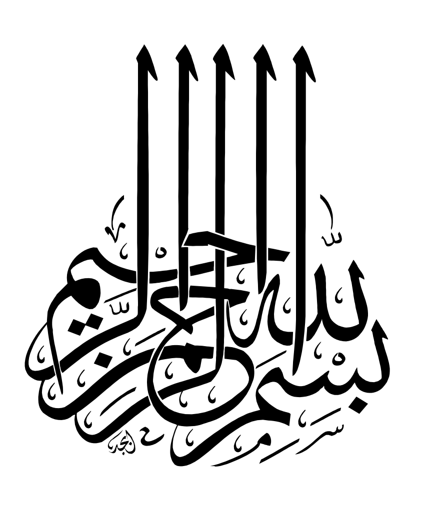

بسم الله الرحمن الرحيم






# كتاب الفتح النبوي

## بشرح عقيدة الشيخ

# علوان الحموي

تأليف الشيخ العلامة

## محمد فتح الله البيلوني

(ت ١٠٤٢ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ)

اعتنى به

**نزار حمَّادي**









بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي سبَّحت بحَمْدِه جميعُ المخلوقات، ودلَّت على وَحدانيته سائرُ المكوَّنات، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمَّدٍ منقِذِنا من الهلَكات، وعلى آله وأصحابه السابقين إلى الخيرات، صلاة وسلاما دائمين باقيين ما بقيت الأرضون والسماوات.

وبعد؛ فإن أفضل العلوم على الإطلاق، وآكدَها عند العقلاء باتفاق: عِلْم العقيدة الإسلامية المقرَّرِ على منهج أهل السُّنة والجماعة السَّنِيَّة؛ ذلك أنه العلم الذي عليه تنبني سعادةُ المرء في الدنيا والآخرة، أمّا في الدنيا فبحصول اليقين في عقائد الدين وسكونِ النفس للحقِّ واطمئنان القلب به، وبذلك تصدر عن الإنسان الأعمالُ الصالحة والأفعال النافعة التي لا يمكن أن تصدر عنه إلا بعد صلاح قَلْبِه باكتساب الحقائق الإيمانية المطابقة للواقع، وأمّا في الآخرة ـ إذا خُتِم للمرء بها ـ فأدنى ثمراته النجاةُ من الخلود في النيران؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**»[١]، وأعلاها رؤيةُ الله تعالى عند فراديس الجنان، وبينهما مراتب من النعيم لا يحصيها إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

ولعِظَم شأن هذا العلم الجليل اهتم به علماء أهل السُّنة قديماً وحديثاً،

(١) حديث صحيح أخرجه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ١٩٧١.

فكانت لهم فيه مصنفات لا تحصى كثرة، متفاوتة طولًا واختصاراً، ولشديد حرصهم على مشاركة عامّة الناس في تحصيل القدر المفروض شرعاً إدراكُه من هذا العلم كان لهم مزيد عناية بتصنيف المتون المختصرة المتضمِّنة لِما يجب ثبوتُه لله تعالى من صفات الكمال، وما يستحيل اتصافه به من صفات النقص والزوال، وما يجوز في حقه من التروك والأفعال، وكذلك ما يجب اتصاف الرسل الكرام به من الكمالات اللائقة بهم، وما يستحيل أن يتصفوا به من صفات النقص، وما يجوز ثبوته في حقهم من الأعراض البشرية التي لا تخل بمقاماتهم العلية، وهذه مقاصد علم التوحيد ولبابُه، وهي مضمون قولنا: «**لا إله إلا الله محمد رسول الله**».

وبين يديك أيها القارئ العزيز رسالة محرّرة مختصرة للشيخ الإمام علوان الحموي جمع فيها مقاصد العقائد المعتبرة، ومعها أيضا شرحها اللطيف النفيس المسمى بـ«**الفتح النبوي بشرح عقيدة الشيخ علوان الحموي**» للشيخ العلامة محمد فتح الله البيلوني، أقام فيه الأدلة اليقينية على صحة ما ورد في تلك العقيدة السُّنِّية من خلال الآيات القرآنية والبراهين العقلية، فإذا تأملتهما وتفهمت معانيهما وصدَّقت بما فيهما دخلت ـ بفضل الله تعالى ـ في حضرة الإيمان من أوسع أبواب الإيقان، وشاركت خيار علماء الأمة على مر القرون وجمهورها الأعرض في إدراك تلك الحقائق الإيمانية.

صاحب المتن هو الشيخ الإمام العلامة: علي بن عطية بن الحسن بن محمد بن الحداد الشافعي الهيتي نسبة إلى «هيت» مدنية على الفرات، ثم الحموي لأن مولده ومنشأه ووفاته كان بمدينة «حماة»، ولقب وعرف بـ«علوان». ولد سنة ٨٧٣هـ، وتوفي سنة ٩٣٦ هـ، رحمه الله تعالى رحمة

واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

نجد من أوسع تراجمه ما ورد في «الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة»[1] للشيخ نجم الدين الغزي (ج٢/ص ٢٠٤ ـ ٢١١) حيث وصفه بشيخ الفقهاء والأصوليين وأستاذ الأولياء والعارفين، وذكر جملة من مشايخه وتلاميذه ومصنفاته ومناقبه، إلى أن قال: «وبالجملة فإن سيدي علوان ممن أجمع الناس على جلالته وتقدمه وجمعه بين العلم والعمل، وانتفع به الناس وبتآليفه في الفقه والأصول والتصوف، وتآليفه مشهورة، منها المنظومة الميمية المسماة بـ«الجوهر المحبوك في علم السلوك»، و«مصباح الهداية ومفتاح الدراية» في الفقه، وكتاب «النصائح المهمة للملوك والأئمة»، و«بيان المعاني في شرح عقيدة الشيباني»، ثم ذكر الشيخ الغزي غير ذلك من مؤلفاته، منها عقيدة مختصرة نافعة مباركة، وهي التي شرحها الشيخ العلامة فتح الله البيلوني، ونصها:

(١) دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م. ومن أراد التوسع أكثر في ترجمة الشيخ علوان فيمكنه الرجوع إلى هذه الصفحة في الشبكة العنكبوتية www.alwanifamily.com.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نَشْهَدُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى مَوْجُودٌ، وَاجِبُ الوُجُودِ، مُتَّصِفٌ بِالقِدَمِ، وَالبَقَاءِ، وَالوَحْدَانِيَّةِ، وَالقِيَامِ بِنَفْسِهِ، وَالـمُخَالَفَةِ لِلْحَوَادِثِ.

لَهُ ذَاتٌ وَصِفَاتٌ، ذَاتُهُ لَا تُشْبِهُ الذَّوَاتَ، وَصِفَاتُهُ لَا تُشْبِهُ الصِّفَاتِ.

وَمِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ: الحَيَاةُ، وَالعِلْمُ، وَالقُدْرَةُ، وَالإِرَادَةُ، وَالسَّمْعُ، وَالبَصَرُ، وَالكَلَامُ.

فَهُوَ حَيٌّ، عَلِيمٌ، قَدِيرٌ، مُرِيدٌ، سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، مُتَكَلِّمٌ.

وَيَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ أَضْدَادُ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَكُلُّ صِفَةٍ لَا تَلِيقُ بِهِ كَالحُلُولِ وَالشَّبَهِ.

وَيَجُوزُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى فِعْلُ كُلِّ مُـمْكِنٍ وَتَرْكُهُ.

أَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ الكُتُبَ، فَنُؤْمِنُ بِهِ وَبِمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ.

وَيَجِبُ فِي حَقِّ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ الصِّدْقُ، وَالأَمَانَةُ، وَتَبْلِيغُ مَا أُمِرُوا بِإِبْلَاغِهِ.

وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمْ أَضْدَادُ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَهِيَ الكَذِبُ، وَالخِيَانَةُ، وَكِتْمَانُ شَيْءٍ مِـمَّا أُمِرُوا بِإِبْلَاغِهِ.

وَيَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ الأَعْرَاضُ البَشَرِيَّةُ الَّتِي لَا تُنْقِصُ شَيْئاً مِنْ مَرَاتِبِهِمْ العَلِيَّةِ كَالـمَرَضِ، وَالجُوعِ، وَالنِّكَاحِ، وَقَضَاءِ الحَاجَةِ، لَا الجُنُونُ وَنَحْوُهُ. اهـ

أمّا الشارح فهو الشيخ العلامة الفقيه الشافعي الأديب: فتح الله بن محمود بن محمد بن محمد بن الحسن الحلبي العمري الأنصاري المعروف بالبيلوني.

وصفه ابن معصوم الحسني في كتابه «سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر» بقوله: فتَى العِلْمِ وكَهْلُه، وبيتُ الفضل وأهلُه، الحكيمُ الحكَم، السائرُ الأمثال والحِكَم، معدن المعارف وكنز الافادة، وكعبة الفضائل وقبلة الوفادة، تصانيفه في سماء الوجود كواكب، وتآليفه لجمع الفوائد مواكب، إلى أدبٍ موردُه في البراعة معين، يحسد إثمد مداده كحل عيون العين، وديوان شعره عزيز المثال، وأكثر مقاطيعه حِكَم وأمثال، وكان له مجلس وعظ ونصح يزدحم لسماعه البكم والفصح، فيقرع الأسماع بتذكيره وتحذيره، ويصدع قلوب أولي المنكر بنكيره، ويقص من المواعظ أحسن القصص، ويقسم من أخبار الخوف والرجاء أوفر الحصص، ولم يزل سالكاً هذه السبيل، وارداً من صفو عينها السلسبيل، حتى طوى الدهر منه ما نشر، والدهر ليس بمأمون على بشر، فتوفى سنة اثنين وأربعين وألف بـ«حلب» الشهباء، ودفن بزاوية آبائه النجباء. اهـ

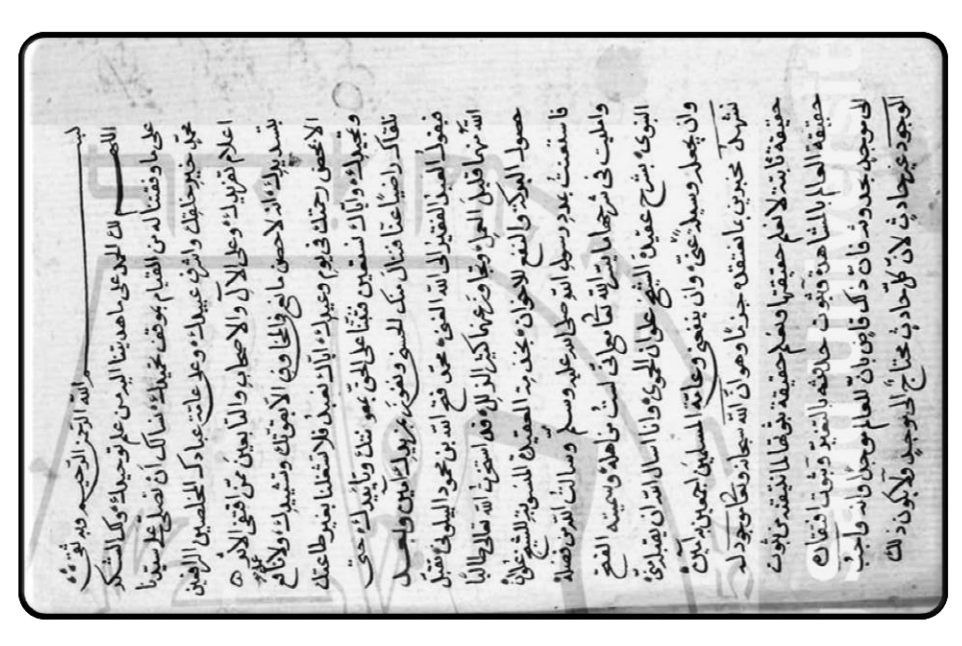
وقال المحبي في خلاصة الأثر: كان أوحد أهل عصره في فنون الأدب وعلو المنزلة وشهرته تغني عن الإكثار في تعريفه، أخذ عن والده البدر محمود البيلوني، وألف تأليف فائقة منها: حاشية على تفسير البيضاوي، والفتح النبوي بشرح عقيدة الشيخ علوان الحموي، وله الكتاب الذي سماه «خلاصة ما يقول

عليه الساعون في أدوية دفع الوبا والطاعون» وهو مشهور، وله مجاميع اشتملت على تعاليق غريبة، وأخذ عنه خلق كثير وله شعر كثير. (ج٢، ص ٢٧٧)

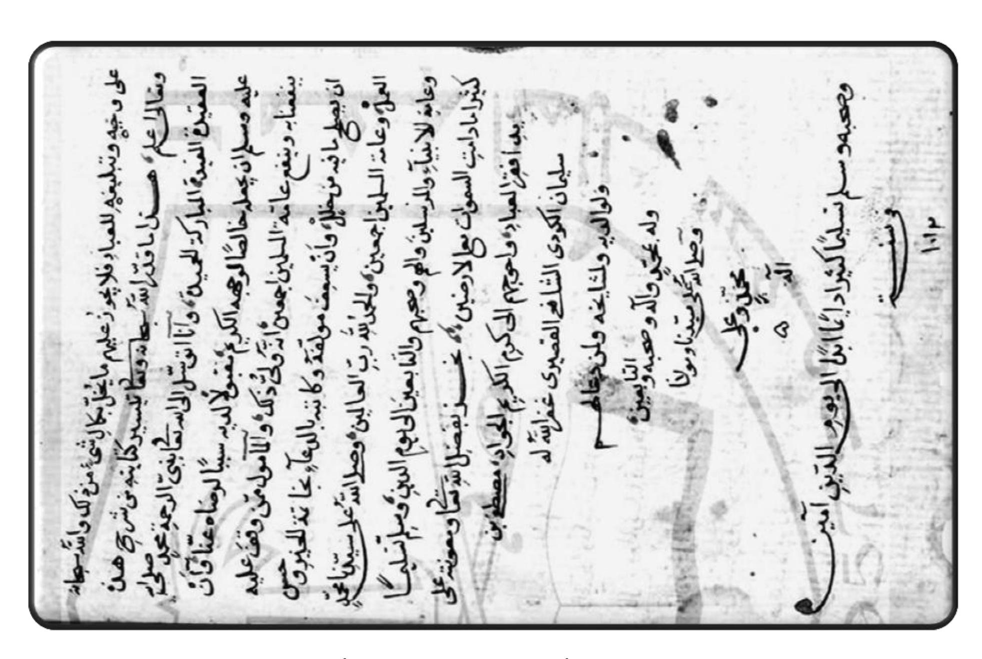
هذا، وقد اعتمدت في العناية بهذا الشرح على نسختين:

ـ الأولى: توجد بمكتبة جامعة الرياض، قسم المخطوطات، ضمن مجموع برقم ٣٤٨، تقع في ٩ ورقات، خطها مشرقي جميل، مسطرتها ٢١، نسخت سنة ١٠١٢هـ بقلم علي بن سليمان الكردي الشافعي القصيري.

ـ والثانية: توجد بنفس المكتبة، ضمن مجموع يحمل رقم ٢٢٤٨، تقع في ١٢ ورقة، خطها مشرقي جميل، ومسطرتها ٢١، لم يذكر فيها اسم الناسخ.



الصفحة الأولى من النسخة الأولى



الصفحة الأخيرة من النسخة الأولى

الصفحة الأولى من النسخة الثانية

الصفحة الأخيرة من النسخة الثانية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اللهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى مَا هَدَيْتَنَا إِلَيْهِ مِنْ عِلْمِ تَوْحِيدِكَ، وَلَكَ الشُّكْرُ عَلَى مَا وَفَّقْتَنَا لَهُ مِنَ القِيَامِ بِمَوْقِفِ تَحْمِيدِكَ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ خَلْقِكَ وَأَشْرَفِ عَبِيدِكَ، وَعَلَى عَامَّةِ عِبَادِكَ المُخْلِصِينَ الرَّافِعِينَ أَعْلَامَ تَفْرِيدِكَ، وَعَلَى الآلِ وَالأَصْحَابِ وَالتَّابِعِينَ مِمَّنْ اقْتَفَى الأَثَرَ بِتَسْدِيدِكَ، فَإِنَّهُ لَا حِصْنَ مَانِعٌ فِي المَخَاوِفِ إِلَّا بِقُوَّتِكَ وَتَشْيِيدِكَ، وَلَا عَمَلَ نَافِعٌ إِلَّا بِمَحْضِ رَحْمَتِكَ فِي يَوْمِ وَعِيدِكَ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ فَلَا تُشْغِلْنَا بِغَيْرِ طَاعَتِكَ وَتَمْجِيدِكَ، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فَثَبِّتْنَا عَلَى الحَقِّ بِمَعُونَتِكَ وَتَأْيِيدِكَ، حَتَّى نَلْقَاكَ رَاضِياً عَنَّا فَنَنَالَ مِنْكَ الحُسْنَى وَنَفُوزَ بِمَزِيدِكَ، آمِينَ.

وَبَعْدُ، فَيَقُولُ العَبْدُ الفَقِيرُ إِلَى اللهِ الغَنِيِّ، مُحَمَّدٌ فَتْحُ اللهِ بْنُ مُحَمُودٍ البَيْلُونِيُّ تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُمَا قَلِيلَ العَمَلِ، وَتَجَاوَزَ عَنْهُمَا كَثِيرَ الزَّلَلِ: قَدِ اسْتَخَرْتُ اللهَ تَعَالَى طَالِباً حُصُولَ البَرَكَةِ وَالنَّفْعِ لِلْإِخْوَانِ بِخِدْمَةِ العَقِيدَةِ المَنْسُوبَةِ لِلشَّيْخِ عَلْوَانٍ، فَاسْتَعَنْتُ بِمَدَدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَأَلْتُ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمْلَيْتُ فِي شَرْحِهَا مَا يَسَّرَ اللهُ تَعَالَى مَعَ أَنِّي لَسْتُ مِنْ أَهْلِهِ، وَسَمَّيْتُهُ: «**الفَتْحُ النَّبَوِيُّ بِشَرْحِ عَقِيدَةِ الشَّيْخِ عَلْوَانٍ الحَمَوِيِّ**»، وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنِّي وَأَنْ يَجْعَلَهُ وَسِيلَةً لِرِضَاهُ عَنِّي، وَأَنْ يَنْفَعَنِي وَعَامَّةَ المُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ بِهِ، آمِينَ.

**(نَشْهَدُ)** مُـخْبِرِينَ بِمَا نَعْتَقِدُ جَزْماً، وَهُوَ **(أَنَّ اللهَ)** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **(مَوْجُودٌ)** لَهُ حَقِيقَةٌ ثَابِتَةٌ لَا نَعْلَمُ حَقِيقَتَهَا، وَنَعْلَمُ حَقِيقَةَ ثُبُوتِهَا؛ لِـمَا نَتَيَقَّنُهُ مِنْ ثُبُوتِ حَقِيقَةِ العَالَـمِ بِالـمُشَاهَدَةِ، وَثُبُوتِ حُدُوثِهِ بِالتَّغَيُّرِ، وَثُبُوتِ افْتِقَارِهِ إِلَى مُوجِدٍ بِحُدُوثِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ قَاضٍ بِأَنَّ لِلْعَالَـمِ مُوجِداً.

وَأَنَّهُ **(وَاجِبُ الوُجُودِ)** غَيْرُ حَادِثٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ حَادِثٍ مُحْتَاجٌ إِلَى مُوجِدٍ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ الـمَوْجُودُ إِلَّا قَدِيماً؛ إِذْ لَوْ كَانَ حَادِثاً لَاحْتَاجَ إِلَى مُـحْدِثٍ وَلَزِمَ التَّسَلْسُلُ وَهُوَ بَاطِلٌ، فَثَبَتَ أَنَّهُ تَعَالَى **(مُتَّصِفٌ بِالقِدَمِ)** لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ تَغَيُّرٌ وَلَا زَوَالٌ؛ لِأَنَّهُمَا يَسْتَلْزِمَانِ الحُدُوثَ.

**(وَ)** قَدْ ثَبَتَ قِدَمُهُ تَعَالَى فَوَجَبَ اتِّصَافُهُ بِـ **(البَقَاءِ وَ)** بِـ **(الوَحْدَانِيَّةِ)** أَيْضاً لِأَنَّ التَّعَدُّدَ إِمَّا فِي الـمَاهِيَّةِ فَيَسْتَلْزِمُ التَّمَايُزَ وَالتَّغَايُرَ، وَذَلِكَ أَمْرٌ نِسْبِيٌّ عَارِضٌ، وَإِمَّا فِي الأَجْزَاءِ فَيَسْتَلْزِمُ الحُدُوثَ لِضَرُورَةِ تَقَدُّمِ الجُزْءِ عَلَى الكُلِّ فِي الوُجُودِ، وَقَدْ ثَبَتَ لَهُ تَعَالَى القِدَمُ وَاسْتَحَالَ فِي حَقِّهِ الحُدُوثُ، فَوَجَبَ أَنَّهُ تَعَالى وَاحِدٌ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى شَيْءٍ؛ وَإِلَّا لَكَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ مَوْجُوداً قَبْلَهُ، وَلَلَزِمَ إِمَّا التَّعَدُّدُ أَوِ التَّرْكِيبُ فِي ذَاتِ الوَاحِدِ، وَقَدْ تَقَدَّسَ عَنْهُمَا لِـمَا ثَبَتَ لَهُ تَعَالَى مِنَ القِدَمِ وَالوَحْدَانِيَّةِ، فَوَجَبَ لَهُ الغِنَى، **(وَ)** هُوَ مَعْنَى **(القِيَامِ بِنَفْسِهِ، وَالـمُخَالَفَةِ لِلْحَوَادِثِ)** لِأَنَّ مُوَافَقَتَهَا تَسْتَدْعِي مُشَارَكَتَهَا فِي التَّعَدُّدِ وَالاحْتِيَاجِ وَالحُدُوثِ وَالفَنَاءِ، وَقَدْ ثَبَتَ لَهُ تَعَالَى أَضْدَادُ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ بَاقٍ.

**(لَهُ ذَاتٌ)** سَرْمَدِيَّةٌ كَامِلَةٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا غَيْرُ مُرَكَّبَةٍ، **(وَ)** لَهُ أَيْضاً **(صِفَاتٌ)** كَذَلِكَ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ هُنَّ مَعَانِي كَمَالِـهَا الـمُتَوَحِّدِ بِهِ تَعَالَى، **(فَـ)** ذَاتُهُ تَعَالَى

**(لَا تُشْبِهُ الذَّوَاتَ)** لِـمَا فِي الـمُشَابَهَةِ مِنْ تَحَقُّقِ الاشْتِرَاكِ فِي وَجْهِ الشَّبَهِ، وَقَدْ ثَبَتَتْ وَحْدَانِيَّتُهُ تَعَالَى، **(وَ)** كَذَلِكَ **(صِفَاتُهُ)** تَعَالَى **(لَا تُشْبِهُ الصِّفَاتِ)** مِنْ عَامَّةِ الـمُحْدَثَاتِ لِـمَا تَقَرَّرَ مِنْ لُزُومِ الشَّرِكَةِ فِي وَجْهِ الشَّبَهِ، وَهُوَ مُحَالٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، وَلِأَنَّ عَامَّةَ صِفَاتِ الـمَخْلُوقَاتِ يَلْزَمُهَا أَضْدَادُهَا كَمَا سَنُبَيِّنُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَلَيْسَتْ صِفَاتُهُ تَعَالَى كَذَلِكَ لِأَنَّ أَضْدَادَهَا تُوجِبُ النَّقْصَ، وَهُوَ مُسْتَحِيلٌ فِي شَأْنِهِ تَعَالَى، فَإِنَّ صِفَاتَهُ تَعَالَى لَيْسَتْ إِلَّا مَعَانِي الكَمَالِ الثَّابِتِ لَهُ كَمَا سَبَقَ.

ثُمَّ إِنَّ مَعَانِي كَمَالِهِ تَعَالَى غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ، وَصِفَاتهُ تَعَالَى كَذَلِكَ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ، فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، وَقَدْ وَصَفَ لَنَا ذَاتَهُ تَعَالَى بِصِفَاتٍ تَعَرَّفَ إِلَيْنَا بِهَا امْتِنَاناً مِنْهُ تَعَالَى، فَنَصِفُهُ سُبْحَانَهُ بِالكَمَالِ الـمُطْلَقِ ـ الوَاجِبِ ثُبُوتُهُ لِذَاتِهِ ـ الـمُنْدَرِجِ فِيهِ إِجْمَالًا عَامَّةُ صِفَاتِهِ، وَبِمَا وَصَفَ بِهِ ذَاتَهُ تَعَالَى مِنْ تَفْصِيلِ ذَلِكَ، وَاقِفِينَ عِنْدَهُ خَوْفَ العِثَارِ، مُطْلِقِينَ الأَعِنَّةَ فِي عَجَائِبِ الأَفْعَالِ وَبَدَائِعِ الآثَارِ.

**(وَمِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ)** الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا سُبْحَانَهُ: **(الحَيَاةُ)** قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

وَهِيَ مَعْنًى قَائِمٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، بِهِ تَقُومُ عَامَّةُ الصِّفَاتِ، وَلَيْسَ كَمَعْنَى الحَيَاةِ القَائِمِ بِنَا؛ لِأَنَّ حُدُوثَ حَيَاتِنَا بَدِيهِيٌّ، فَلُزُومُ وَصْفِ عَدَمِهَا لَنَا قَبْلَ حُدُوثِهَا ضَرُورِيٌّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٨]، وَذَاتُ مَوْلَانَا مُنَزَّهَةٌ عَنِ الاتِّصَافِ بِالعَدَمِ؛ لِـمَا تَقَرَّرَ مِنْ وُجُوبِ قِدَمِهِ تَعَالَى.

(وَ) مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ سُبْحَانَهُ: **(العِلْمُ)** قَالَ تَعَالَى: ﴿**قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾ [الطلاق: ١٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام: ٧٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ**﴾ [البقرة: ١٨٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ**﴾ [النحل: ١٩].

وَهُوَ مَعْنًى قَائِمٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، يَتَعَلَّقُ بِعَامَّةِ الحَقَائِقِ وُجُوداً وَعَدَماً، فَهِيَ مُنْكَشِفَةٌ لَهُ كَمَا هِيَ عَلَيْهِ انْكِشَافاً تَامّاً، وَلَيْسَ كَمَعْنَى العِلْمِ القَائِمِ بِنَا؛ لِاسْتِلْزَامِهِ اتِّصَافَنَا بِضِدِّهِ كَمَا تَقَرَّرَ فِي مَعْنَى الحَيَاةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا**﴾ [النحل: ٧٨]، وَلِقُصُورِ عِلْمِنَا فِي الإِدْرَاكِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٣٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢١٦]، فَنَفَى عَنَّا ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ حَقِيقَةَ العِلْمِ لِاتِّصَافِنَا بِعَدَمِهِ، وَعِلْمَ الحَقِيقَةِ لِقُصُورِ الإِدْرَاكِ، وَجَعَلَ التَّامَّةَ مِنْهُ تَعَالَى صِفَةً لَائِقَةً بِنَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة: ١٠٦].

(وَ) مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا سُبْحَانَهُ: **(القُدْرَةُ)** قَالَ تَعَالَى: ﴿**أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ**﴾ [القيامة: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الملك: ١]، وقال الله تعالى: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا**﴾ [الكهف: ٤٥].

وَهِيَ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، تَتَعَلَّقُ بِكُلِّ جَائِزٍ فَيَنْفَعِلُ لَهَا عَلَى وِفْقِ الإِرَادَةِ إِيجَاداً أَوْ عَدَماً، فَلَا تَنْفَكُّ عَنِ الإِرَادَةِ أَبَداً.

وَلَيْسَتْ كَصِفَةِ القُدْرَةِ القَائِمَةِ بِنَا؛ لِأَنَّهَا تَسْتَلْزِمُ اتِّصَافَنَا بِضِدِّهَا كَمَا سَبَقَ تَقْرِيرُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [الحديد: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وَلِأَنَّهَا مُنْفَكَّةٌ عَنْ إِرَادَتِنَا إِلَّا فِيمَا أَقْدَرَنَا عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَإِلَّا لَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ لِلْغَيْرِ مُشَارَكَةٌ فِي المُلْكِ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً.

وَبِهَذَا يَظْهَرُ أَنَّ مُنْكِرَ القَدَرِ يَلْزَمُهُ إِنْكَارُ الوَحْدَانِيَّةِ، تَعَالَى رَبُّنَا هُوَ اللهُ الوَاحِدُ، لَا مُؤَثِّرَ فِي العَالَمِ سِوَاهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

(وَ) مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا: **(الإِرَادَةُ)** قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وَهِيَ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، تُخَصِّصُ الجَائِزَ بِوُجُودٍ أَوْ عَدَمٍ فِي وَقْتٍ دُونَ آخَرَ؛ وَإِلَّا لَحَصَلَتْ عَامَّةُ المُرَادَاتِ دَفْعَةً، وَلَزِمَ اجْتِمَاعُ الضِّدَّيْنِ مِنْهَا؛ لِجَوَازِ كُلٍّ مِنَ الضِّدَّيْنِ عَلَى حِدَتِهِ، وَاجْتِمَاعُ الضِّدَّيْنِ مُحَالٌ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، وَلَا تَنْفَكُّ القُدْرَةُ عَنْهَا؛ وَإِلَّا لَلَزِمَ العَجْزُ وَالافْتِقَارُ، وَاللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ

مُقَدَّسٌ عَنْ ذَلِكَ، وَقَدْ وَجَبَ لَهُ تَعَالَى ثُبُوتُ القُدْرَةِ وَالغِنَى المُطْلَقِ.

وَلَيْسَتْ كَصِفَةِ الإِرَادَةِ القَائِمَةِ بِنَا؛ لِاسْتِلْزَامِهَا اتِّصَافَنَا بِضِدِّهَا كَمَا تَقَرَّرَ، وَلِانْفِكَاكِ القُدْرَةِ عَنْهَا كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ بِالضَّرُورَةِ لِكُلِّ ذِي اخْتِيَارٍ، وَلِعَدَمِ تَمَحُّضِ الاخْتِيَارِ فِيهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وَبِذَلِكَ يَتَبَيَّنُ مَا لِلْعَبْدِ مِنْ فِعْلِهِ وَمَا لَيْسَ لَهُ مِنْهُ، وَسَيَأْتِي زِيَادَةُ بَيَانٍ لِذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

**(وَ)** مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا سُبْحَانَهُ: **(السَّمْعُ وَالبَصَرُ)** قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢].

وَهُمَا صِفَتَانِ قَائِمَتَانِ بِذَاتِهِ تَعَالَى، وَيَتَعَلَّقَانِ بِكُلِّ مَوْجُودٍ، فَعَامَّةُ المَسْمُوعَاتِ مُنْكَشِفَةٌ لِلسَّمْعِ، وَكَذَلِكَ عَامَّةُ المُبْصَرَاتِ مُنْكَشِفَةٌ لِلْبَصَرِ انْكِشَافاً تَامّاً، دُونَ وَاسِطَةٍ، فِي كُلِّ آنٍ.

وَلَسْتَا كَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ القَائِمَيْنِ بِنَا؛ لِاسْتِلْزَامِهِمَا اتِّصَافَنَا بِضِدِّهِمَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [النحل: ٧٨]، وَلِقُصُورِهِمَا فِي الإِدْرَاكِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [النمل: ٨٠]، وَلِاحْتِيَاجِنَا إِلَى تَوَسُّطِ آلَةٍ وَانْتِفَاءِ المَانِعِ، قَالَ

تَعَالَى: ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ [الملك: ٤]، وَقَدْ تَقَدَّسَ رَبُّنَا عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَثَبَتَ لَهُ الغِنَى الـمُطْلَقُ.

(وَ) مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا سُبْحَانَهُ: (الكَلَامُ) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا﴾ [الشورى: ٥١].

وَهُوَ مَعْنًى قَائِمٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، لَيْسَ بِصَوْتٍ وَلَا حَرْفٍ، وَهُوَ يَتَعَلَّقُ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ عِلْمُهُ تَعَالَى؛ لِأَنَّه ـ سُبْحَانَهُ ـ يُطْلِعُ بِكَلَامِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ عَلَى مَا شَاءَ مِمَّا فِي عِلْمِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة: ٣٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا فَسَجَدُوٓاْ﴾ [البقرة: ٣١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٣٧]، فَلَوْ فَارَقَ الكَلَامُ العِلْمَ فِي التَّعَلُّقِ لَلَزِمَ العَجْزُ فِي التَّعْلِيمِ وَالنَّقْصُ فِي صِفَةِ الكَلَامِ، وَقَدْ تَعَالَى رَبُّنَا عَنْ ذَلِكَ، وَثَبَتَ لَهُ القُدْرَةُ وَصِفَاتُ الكَمَالِ بِكَمَالِ الصِّفَاتِ.

وَلَيْسَ كَكَلَامِنَا القَائِمِ بِنَا؛ فَإِنَّهُ عَرَضٌ مِنَ الأَعْرَاضِ، مُرَكَّبٌ مِنَ الحُرُوفِ وَالأَصْوَاتِ، يَحُلُّ فِي السُّطُورِ وَالأَسْمَاعِ، وَيَطْرَأُ عَلَيْهِ التَّغَيُّرُ وَالزَّوَالُ، وَيُفَارِقُ العِلْمَ فِي التَّعَلُّقِ لِعِلَّةِ الكَلَالِ.

وَكَلَامُ اللهِ أَزَلِيٌّ بَاقٍ، لَا مُتَغَيِّرٌ وَلَا فَانٍ[1]، وَلَا يَحُلُّ فِي طُرُوسٍ وَلَا أَذْهَانٍ، وَلَا يَعْتَرِيهِ فِي تَعَلُّقِهِ نُقْصَانٌ.

وَأَمَّا مَا نَكْتُبُهُ بِأَيْدِينَا وَنَتْلُوهُ بِأَلْسِنَتِنَا وَيَرْتَسِمُ فِي حَافِظَتِنَا فَذَلِكَ مِـمَّا يُؤَدَّى بِهِ كَلَامُهُ تَعَالَى، لَا نَفْسُ كَلَامِهِ القَائِمِ بِذَاتِهِ؛ فَإِنَّهُ مَعْنًى قَدِيمٌ لَيْسَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا مِرْيَةَ فِي أَنَّ مَا أُدِّيَ بِهِ مِنْ حَيْثُ كِتَابَتُهُ حُرُوفٌ فِي السُّطُورِ، وَمِنْ حَيْثُ تِلَاوَتُهُ أَصْوَاتٌ فِي الأَسْمَاعِ، وَمِنْ حَيْثُ حِفْظُهُ كَيْفِيَّاتٌ فِي الخَيَالِ، كَمَا أَنَّهُ قَدْ أُدِّيَ بِالعِبْرَانِيَّةِ فَسُمِّيَ تَوْرَاةً، وَأُدِّيَ بِالسُّورِيَّةِ فَسُمِّيَ إِنْجِيلًا، وَأُدِّيَ بِالعَرَبِيَّةِ فَسُمِّيَ قُرْآناً.

وَلَا شُبْهَةَ فِي أَنَّ كَلَامَ اللهِ تَعَالَى وَاحِدٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ**﴾ [الأعلى: ١٨ ـ ١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى**﴾ [الأنبياء: ٢٤]، فَإِنَّ الـمَعْنَى القَائِمَ بِذَاتِهِ تَعَالَى غَيْرُ مُتَعَدِّدٍ

(١) وبهذه الحقيقة يصرح الإمام ابن جرير الطبري فيقول: القرآن: الذي هو كلامُ الله ـ تعالى ذِكْرُه ـ لَمْ يَزَلْ صِفَةً قَبْلَ كَوْنِ الخَلْقِ جَمِيعًا، وَلَا يَزَالُ بَعْدَ فَنَائِهِمْ. (التبصير في معالم الدين، ص ١٥٢) وواضح أن الإمام الطبري يطلق اسم «القرآن» على صفة الكلام القديمة القائمة بذات الله ﷻ، فهو عنده لفظ مشترك بين ما في دفتي المصحف، وما قام بذات الله تعالى أزلًا.

ومما يزيد ذلك وضوحا قول الإمام الطبري قبل ذلك في وصف الله تعالى بأنه: «المتكلِّمُ الذي لا يجوز عليه السكوت» (التبصير، ص ١٢٨) وهذه هي عقيدة أهل السنة، خلافا لمن ينفي صفة الكلام القائم بذات الله تعالى أصلًا كالمعتزلة والشيعة، وخلافا للمشبهة الذي يثبتونه محدثاً بعد العدَم قائما بذات الله شيئا فشيئاً كما تقوم الأعراض المحدَثة بالأجرام المحدَثة.

وَلَا مُتَّصِفٍ بِلُغَةٍ دُونَ لُغَةٍ وَلَا بِصِفَةٍ فِي زَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ.

وَكَوْنُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِمَّا يَحْصُلُ بِهِ التَّأْدِيَةُ مِنَ الْمُرَكَّبَاتِ الحَادِثَةِ وَالأَعْرَاضِ الْمُتَغَيِّرَةِ الزَّائِلَةِ أَمْرٌ بَدِيهِيٌّ، لَكِنْ لَا يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالمَخْلُوقِيَّةِ وُقُوفاً مَعَ الأَدَبِ؛ لِفُحْشِ ظَاهِرِ العِبَارَةِ، كَمَا لَا يُقَالُ «خَالِقُ الكِلَابِ» وَنَحْوُهَا وَإِنْ كَانَ حَقّاً، وَاحْتِرَازاً مِمَّا يُوهِمُ مَيْلًا لِمَذْهَبِ أَهْلِ الخِلَافِ فِي ذَلِكَ، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً، وَإِنَّمَا أَوْصَافُهُ كُلُّهَا أَزَلِيَّةٌ بَاقِيَةٌ لَهُ، قَدِ اتَّصَفَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ بِمَصْدَرِهَا وَمَا اشْتُقَّ مِنْهُ، وَقَدْ مَرَّ آنِفاً سَرْدُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَعَ كُلِّ صِفَةٍ.

**(فَهُوَ)** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **(حَيٌّ)** ذُو حَيَاةٍ سَرْمَدِيَّةٍ غَيْرِ عَارِضَةٍ عَلَيْهِ وَلَا مُنْفَكَّةٍ عَنْهُ، وَهُوَ **(عَلِيمٌ)** ذُو عِلْمٍ كَذَلِكَ أَيْضاً، وَ **(قَدِيرٌ)** كَذَلِكَ، وَ **(مُرِيدٌ)** وَ **(سَمِيعٌ)** وَ **(بَصِيرٌ)** وَ **(مُتَكَلِّمٌ)** كَذَلِكَ، فَلَا شَيْءَ مِنْهَا بِعَارِضٍ عَلَيْهِ وَلَا مُنْفَكٍّ عَنْهُ أَبَداً.

**(وَ)** لِذَلِكَ **(يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ)** تَعَالَى عَامَّةُ أَضْدَادِ هَذِهِ الصِّفَاتِ؛ فَإِنَّ كُلَّ صِفَةٍ قَدِيمَةٍ تُوجِبُ لِمَوْصُوفِهَا اسْتِحَالَةَ اتِّصَافِهِ بِضِدِّهَا؛ لِقِدَمِهَا، وَتُوجِبُ اسْتِحَالَةَ وُجُودِ ضِدِّهَا؛ لِلُزُومِهَا، كَمَا أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ حَادِثَةٍ تُوجِبُ لِمَوْصُوفِهَا اتِّصَافَهُ بِضِدِّهَا؛ لِضَرُورَةِ سَبْقِهِ قَبْلَ حُدُوثِهَا، وَتُوجِبُ وُجُودَ ضِدِّهَا عِنْدَ انْفِكَاكِهَا، وَهَذَا شَأْنُ عَامَّةِ الصِّفَاتِ مِنَ الْمُحْدَثَاتِ، وَأَمَّا صِفَاتُ مَوْلَانَا تَعَالَى فَقَدْ ثَبَتَ لَهُ قِدَمُهَا وَبَقَاؤُهَا فَوَجَبَ فِي حَقِّه تَعَالَى اسْتِحَالَةُ عَامَّةِ أَضْدَادِهَا[1].

(١) تذكر هنا قول الإمام ابن جرير الطبري في وصف الله تعالى بأنه: «**الْمُتَكَلِّمُ الَّذِي لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ السُّكُوتُ**» (التبصير، ص ١٢٨) وهذا نصٌّ صريحٌ مُحكَمٌ دالٌّ على بطلان=

**(وَ)** كَذَلِكَ يَسْتَحِيلُ عَلَى مَوْلَانَا تَعَالَى **(كُلُّ صِفَةٍ لَا تَلِيقُ بِهِ)** مِـمَّا يَقْتَضِي النَّقْصَ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ كَمَا ثَبَتَ لَهُ تَعَالَى وُجُوبُ الكَمَالِ الـمُطْلَقِ إِجْمَالًا وَهُوَ مُنْدَرِجٌ فِي عَامَّةِ صِفَاتِهِ الَّتِي بَيَّنَ لَنَا البَعْضَ مِنْهَا تَفْصِيلًا بِاتِّصَافِهِ بِهِ كَمَا سَبَقَ ، فَكَذَلِكَ ثَبَتَ لَهُ اسْتِحَالَةُ النَّقْصِ فِي حَقِّهِ إِجْمَالًا ، وَهُوَ مُنْدَرِجٌ فِي عَامَّةِ المُسْتَحِيلَاتِ تَفْصِيلًا ، إِلَّا أَنَّا نَقِفُ عَنْ إِطْلَاقِ تَفَاصِيلِ أَوْصَافِ الكَمَالِ عَلَيْهِ تَعَالَى إِلَّا بِمَا وَرَدَ وَصْفاً لَهُ تَعَالَى ؛ مَخَافَةَ وُجُودِ مَفْهُومِ نَقْصٍ لَـمْ يَصِلْ فَهْمُنَا إِلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ تَفَاصِيلِ الكَمَالَاتِ ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا اتَّصَفَ بِالكَمَالِ الـمُطْلَقِ ؛ إِذْ مَنْ لَهُ صِفَةُ كَمَالٍ غَيْرُ كَامِلَةٍ يَلْزَمُهُ صِفَةُ النَّقْصِ ضَرُورَةً ، فَاتِّصَافُهُ بِالكَمَالِ لَيْسَ بِأَوْلَى مِنْ اتِّصَافِهِ بِالنَّقْصِ ، وَاللَّازِمُ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ تَعَالَى ، فَالمَلْزُومُ كَذَلِكَ ، فَلَيْسَ لِـلَّهِ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِ الكَمَالِ إِلَّا كَامِلُ الصِّفَاتِ .

وَلَا نَقِفُ عَنْ تَنْزِيهِهِ تَعَالَى عَنْ تَفَاصِيلِ مَا يَقْتَضِي النَّقْصَ ؛ لِعَدَمِ الحُدودِ فِيهِ ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى مُقَدَّسٌ عَنْ كُلِّ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ النَّقْصُ كَالحُلُولِ وَالشَّبَهِ ، فَهُمَا مِنَ الـمُحَالِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى لِمَا ذُكِرَ ، وَلِـمَا تَقَرَّرَ سَابِقاً مِنْ أَنَّ صِفَاتَهُ تَعَالَى هِيَ مَعَانِي كَمَالِ ذَاتِهِ ، فَكُلُّ مَا اقْتَضَى نَقْصاً لَيْسَ بِصِفَةٍ لَهُ تَعَالَى ، فَيَسْتَحِيلُ كَوْنُهُ صِفَةً لَهُ ، وَلَا شُبْهَةَ أَنَّ الحُلُولَ يَسْتَلْزِمُ الـمَكَانَ وَالجِهَةَ وَالانْتِقَالَ ، وَأَنَّ الشَّبَهَ يَسْتَلْزِمُ الشِّرْكَةَ وَالتَّعَدُّدَ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ لَوَازِمِ الحَوَادِثِ ، وَقَدْ ثَبَتَ لِذَاتِ مَوْلَانَا وَصِفَاتِهِ القِدَمُ ، فَاسْتَحَالَ فِي حَقِّهِ الحُلُولُ وَالشَّبَهُ ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً .

---

= دعوى أن الله تعالى يحدِثُ في ذاته حروفا وأصواتاً يتكلم بها ويسكت إذا شاء فلا يحدِث فيها شيئاً من ذلك ، تعالى الله عن قولهم علوّاً كبيراً ؛ فإن الله تعالى قديم بذاته وصفاته القائمة بذاته ، ومنها صفة الكلام.

**(وَيَجُوزُ فِي حَقِّهِ)** تَعَالَى **(فِعْلُ كُلِّ مُمْكِنٍ)** وَهُوَ مَا لَا يَلْزَمُ مِنْ وُجُودِهِ وَلَا عَدَمِهِ مُحَالٌ، **(وَ)** لِهَذَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى **(تَرْكُهُ)** أَيْضاً لِأَنَّهُ لَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى لِيَسْتَحِيلَ، وَلَا وَاجِبَ فِي حَقِّهِ تَعَالَى لِيَجِبَ، فَفِعْلُهُ وَتَرْكُهُ جَائِزٌ، وَأَمَّا جَوَازُ فِعْلِهِ وَتَرْكِهِ فَوَاجِبٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ مَعْنَى الإِرَادَةِ الَّتِي هِيَ صِفَةٌ سَرْمَدِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِالذَّاتِ الأَحَدِيَّةِ.

وَمِمَّا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى فِعْلَهُ مِنَ الجَائِزَاتِ أَنْ **(أَرْسَلَ الرُّسُلَ)** مِنَ المَلَائِكَةِ وَالبَشَرِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ**﴾ [الحج: ٧٥].

**(وَأَنْزَلَ)** عَلَى رُسُلِهِ مِنَ البَشَرِ **(الكُتُبَ)** بِالشَّرَائِعِ وَأَمَرَهُمْ بِتَبْلِيغِهَا لِلْعِبَادِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ**﴾ [المائدة: ٦٧]، فَأَوْجَبَ تَعَالَى عَلَى العِبَادِ طَاعَتَهُمْ وَالإِيمَانَ بِهِمْ، وَحَرَّمَ مُخَالَفَتَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ**﴾ [النساء: ٦٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ**﴾ [البقرة: ١٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ**﴾ [النساء: ١١٥].

**(فَنُؤْمِنُ بِهِ)** تَعَالَى مُعْتَقِدِينَ جَازِمِينَ بِحَقِّيَّةِ مَا يَجِبُ وَمَا يَجُوزُ وَمَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، كَمَا أَمَرَنَا عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

**(وَ)** نُؤْمِنُ أَيْضاً **(بِمَلَائِكَتِهِ)** وَأَنَّهُمْ خَلْقٌ مِمَّنْ خَلَقَ، وَأَنَّ لَهُمْ حَقَائِقَ ثَابِتَة مُتَمَايِزَة وَمَقَامَاتٍ فِي القُرْبِ مُتَفَاوِتَة، قَالَ تَعَالَى: ﴿**ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ**

وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨].

(وَ) نُؤْمِنُ كَذَلِكَ بِـ (كُتُبِهِ) الـمُنَزَّلَةِ عَلَى رُسُلِهِ مِنَ البَشَرِ، (وَ) نَعْتَقِدُ حَقِّيَّتَهَا وَأَنَّهَا مُنَزَّلَةٌ بِوَحْيٍ مِنْهُ تَعَالَى، وَأَنَّهَا مُحْتَوِيَةٌ عَلَى مَدْلُولَاتِ كَلِمَاتِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا إِلَّا هُوَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وَهِيَ بِأَسْرِهَا فِي القُرْآنِ العَظِيمِ، فَالإِيمَانُ بِهِ يَسْتَلْزِمُ الإِيمَانَ بِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِي﴾ [الأنبياء: ٢٤]، وَقَدْ أَخْبَرَ القُرْآنُ العَظِيمَ بِهَا أَيْضاً، فَيَسْتَلْزِمُ التَّصْدِيقُ بِهِ التَّصْدِيقَ بِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [النساء: ١٦٣] الآيَةُ.

(وَ) كَذَلِكَ نُؤْمِنُ أَيْضاً بِـ (رُسُلِهِ) عَامَّةً، وَنَعْتَقِدُ حَقِّيَّتَهُمْ، وَنُصَدِّقُهُمْ فِي كُلِّ مَا جَاؤُوا بِهِ؛ إِذْ بِالإِيمَانِ بِهِمْ تَتِمُّ مَوَادُّ الإِيمَانِ الأَرْبَعَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فَنُؤْمِنُ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَنَقُومُ بِمَا جَاءَنَا بِهِ رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنُقَابِلُ مَا أَمَرَنَا بِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَمَا نَهَانَا عَنْهُ بِتَرْكِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَمَا أَخْبَرَنَا بِهِ مِنَ الـمُغَيَّبَاتِ الـمَاضِيَةِ وَالـمُسْتَقْبَلَةِ بِالتَّصْدِيقِ بِهَا جَزْماً، لَا احْتِمَالًا وَلَا ظَنّاً، فَإِنَّ الإِيمَانَ بِهَا مِنَ الوَاجِبِ نَصّاً؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

**وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾** [البقرة: ٣ - ٥]، وَذَلِكَ هُوَ حَقِيقَةُ الإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ اتِّبَاعٌ فِي القَوْلِ وَالفِعْلِ وَالاعْتِقَادِ.

فَمِنَ التَّصْدِيقِ بِمَا أَخْبَرَنَا بِهِ مِنَ الـمُغَيَّبَاتِ الـمَاضِيَةِ أَنَّا نُؤْمِنُ بِالرُّسُلِ وَالكُتُبِ، **(وَ)** مِنَ الـمُغَيَّبَاتِ الـمُسْتَقْبَلَةِ أَنَّا نُؤْمِنُ **(بِاليَوْمِ الآخِرِ)** وَهُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ، وَالإِيمَانُ بِهِ يَسْتَتْبِعُ الإِيمَانَ بِالبَعْثِ وَالعَرْضِ وَالحِسَابِ وَالـمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ وَالنَّارِ وَالجَنَّةِ وَشَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَحَوْضِ الوُرُودِ وَرُؤْيَةِ العِبَادِ رَبَّهُمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ الـمَصْدُوقُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِمَّا فِي القُرْآنِ العَظِيمِ، وَغَيْرِهِ مِنَ الأُمُورِ الـمُتَعَلِّقَةِ بِاليَوْمِ الآخِرِ.

**(وَ)** مِنَ التَّصْدِيقِ بِمَا أَخْبَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنَ الـمُغَيَّبَاتِ الوَاقِعَةِ فِي الـمَاضِي وَالاسْتِقْبَالِ أَنَّا نُؤْمِنُ **(بِالقَدَرِ)** وَهُوَ تَقْدِيرُ اللهِ عَلَى العَبْدِ عَلَى القِيَامِ بِمَا قَضَاهُ لَهُ فِي الأَزَلِ مِنَ الفِعْلِ، **(خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)** فَنَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا قُدْرَةَ لِلْعَبْدِ عَلَى فِعْلِ خَيْرٍ وَلَا شَرٍّ إِلَّا بِإِقْدَارِهِ تَعَالَى إِيَّاهُ عَلَى ذَلِكَ وَإِلَّا لَلَزِمَ العَجْزُ فِي الخَلْقِ وَالـمُشَارَكَةُ فِي الـمُلْكِ، وَقَدْ تَعَالَى رَبُّنَا عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً، وَثَبَتَ لَهُ تَعَالَى القُدْرَةُ الكَامِلَةُ وَالوَحْدَانِيَّةُ؛ قَالَ تَعَالَى: **﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾** [الرعد: ١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: **﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾** [الأعراف: ٥٤]، وَقَالَ تَعَالَى: **﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾** [الصافات: ٩٦].

فَعامَّةُ الأَفْعَالِ لَيْسَ لَنَا فِيهَا إِلَّا مَا أَثْبَتَهُ لَنَا بَارِئُهَا حَيْثُ امْتَنَّ بِإِضَافَتِهَا إِلَيْنَا لِجَرَيَانِهَا فِي البُرُوزِ عَلَى يَدَيْنَا، وَلِمَا سَبقَهَا مِنِ اخْتِيَارِنَا وَالمَشِيئَةِ الصَّادِرَةِ عَنَّا وِفْقَ مَشِيئَتِهِ تَعَالَى الأَزَلِيَّةِ، وَلَيْسَ فِي الحَقِيقَةِ مُؤَثِّرٌ غَيْرُهُ، فَالكُلُّ مِنْ آثَارِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨].

وَقَدْ أَثْبَتَ لَنَا ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عَمَلًا فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]، وَنَفَى عَنَّا ـ سُبْحَانَهُ ـ حَقِيقَةَ العَمَلِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وَكَذَلِكَ أَثْبَتَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ لَنَا إِرَادَةً فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الإسراء: ١٩]، وَنَفَى عَنَّا ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَيْضاً حَقِيقَةَ الإِرَادَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

فَظَهَرَ أَنَّ مَشِيئَتَنَا مَسْبُوقَةٌ بِمَشِيئَتِهِ تَعَالَى، فَإِنَّ عَمَلَنَا مَسْبُوقٌ بِمَشِيئَتِنَا وَاخْتِيَارِنَا، وَأَنَّا لَا نَتَمَكَّنُ مِنَ العَمَلِ الَّذِي نَعْمَلُهُ إِلَّا بِإِقْدَارِ اللهِ تَعَالَى إِيَّانَا عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الخَالِقُ المُطْلَقُ وَالمُوجِدُ لِأَسْبَابِ العَمَلِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ.

وَتَبَيَّنَ ـ وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ ـ أَنَّ العَبْدَ إِنَّمَا يُؤَاخَذُ بِعَمَلِهِ الـمَسْبُوقِ بِاخْتِيَارِهِ وَمَشِيئَتِهِ الجَارِي عَلَى يَدِهِ وَكَسْبِهِ وَعَزِيمَتِهِ، لَا عَلَى مَشِيئَتِهِ الـمَسْبُوقَةِ بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ إِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**»(١)، فَدَلَّنَا ﷺ أَنَّ الـمُؤَاخَذَةَ ـ الَّتِي هِيَ مِنْ عَدْلِهِ تَعَالَى ـ إِنَّمَا هِيَ فِي مُقَابَلَةِ الكَسْبِ وَالعَمَلِ، وَأَنَّ الإِثَابَةَ ـ الَّتِي هِيَ مِنْ مَحْضِ فَضْلِ اللهِ تَعَالَى ـ لَا تَتَوَقَّفُ عَلَى عَمَلٍ وَلَا اسْتِحْقَاقٍ مِنَ العَبْدِ؛ لِأَنَّ الرَّحْمَةَ أَصْلٌ شَامِلٌ سَابِقٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [غافر: ٧]، فَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، ﴿**لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ**﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ إِرْسَالَ الرُّسُلِ مِنَ الـمُمْكِنِ الجَائِزِ، لَا مِنَ الوَاجِبِ وَلَا مِنَ الـمُحَالِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُحَالًا لَـمَا وَقَعَ، وَقَدْ ثَبَتَ وُقُوعُهُ بِدَعْوَةِ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَتَحَدِّيهِمْ بِالـمُعْجِزَاتِ البَاهِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ**﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وَلَوْ كَانَ وَاجِباً لَـمَا وَقَعَتِ الفَتْرَةُ، وَلَـمَا كَانَ فِي زَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ آخَرَ، فَإِنَّ الوَاجِبَ لَا يَنْفَكُّ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ**﴾ [المائدة: ١٩]، فَهُوَ جَائِزٌ بِلَا شُبْهَةٍ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى الجَائِزِ فَهُوَ جَائِزٌ أَيْضاً، فَثَبَتَ أَنَّ كُلَّ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى إِرْسَالِهِمْ مِنْ حِسَابٍ وَعِقَابٍ وَثَوَابٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الجَائِزِ، بَلْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة.

عَامَّةُ الـمُحْدَثَاتِ، فَلَا تَجِبُ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَإِلَّا لَكَانَ مُضْطَرّاً، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ!

وَلَا يَجِبُ فِي حَقِّهِ مِنَ الصِّفَاتِ إِلَّا مَا اسْتَحَالَ عَلَيْهِ عَدَمُهُ، كَالكَمَالِ الـمُطْلَقِ، وَالصِّفَاتُ الـمُتَقَدِّمَةُ الَّتِي هِيَ مَعَانِي الكَمَالِ القَائِمِ بِذَاتِهِ، وَأَمَّا الأَفْعَال وَالتَّأْثِيرَاتُ فَمِنَ الـمُمْكِنِ الجَائِزِ؛ وَإِلَّا لَانْتَفَتِ القُدْرَةُ وَالإِرَادَةُ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ! فَهُوَ الـمُرِيدُ القَادِرُ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

نَعَمْ، كَوْنُ الـمُمْكِنِ جَائِزاً مِنَ الوَاجِبِ لِـمَا مَرَّ مِنْ أَنَّهُ مَعْنَى الإِرَادَةِ، وَأَنَّ فِعْلَ الجَائِزِ جَائِزٌ، وَجَوَازُ فِعْلِهِ وَاجِبٌ، وَكَذَلِكَ التَّرْكُ، وَلَا شُبْهَةَ أَنَّ إِيجَادَ العَالَـمِ مِنَ الجَائِزِ أَيْضاً لِأَنَّهُ حَادِثٌ، وَحَيْثُ كَانَ جَائِزاً فَكُلُّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهِ جَائِزٌ أَيْضاً، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الجَائِزِ بِجَائِزٍ إِلَّا قَبْلَ تَعَلُّقِ الإِرَادَةِ بِهِ، وَإِلَّا فَهُوَ إِمَّا وَاجِبٌ بِتَخْصِيصِ الفِعْلِ، أَوْ مُحَالٌ بِتَخْصِيصِ التَّرْكِ، وَمَا الـمُرَادُ بِالوَاجِبِ وَالـمُحَالِ هُنَا مَا كَانَ وَاجِباً أَوْ مُحَالًا لِنَفْسِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا تَتَعَلَّقُ بِهِ الإِرَادَةُ، وَإِنَّمَا الـمُرَادُ مَا صَارَ وَاجِباً أَوْ مُحَالًا بِتَخْصِيصِ الإِرَادَةِ، وَبِهَذَا الـمَعْنَى يَكُونُ وَصْفاً لِلْمُمْكِنِ.

فَتَقَرَّرَ أَنَّ لِكُلِّ مُـمْكِنٍ مَا يَجِبُ فِي حَقِّهِ وَمَا يَسْتَحِيلُ وَمَا يَجُوزُ بِكِلَا الاعْتِبَارَيْنِ مَاهِيَّةً وَأَفْرَاداً، أَمَّا بِاعْتِبَارِ الـمَاهِيَّةِ فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُـمْكِنٍ ـ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُمْكِنٌ ـ أَنْ يَكُونَ جَائِزاً وَأَنْ لَا يَكُونَ وَاجِباً وَلَا مُحَالًا، وَيَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ أَضْدَادُ ذَلِكَ، وَيَجُوزُ فِي حَقِّهِ الوُجُودُ وَالعَدَمُ.

وَأَمَّا بِاعْتِبَارِ الأَفْرَادِ فَلِكُلِّ فَرْدٍ مِنْهَا مَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَمَا يَسْتَحِيلُ وَمَا يَجُوزُ بِحَسَبِ اعْتِبَارِهِ فِي نَفْسِهِ، فَإِنَّ مَقَامَاتِهَا مُتَفَاوِتَةٌ بِاعْتِبَارِ بُرُوزِهَا لِلْوُجُودِ، وَأَمَّا فِي عِلْمِهِ تَعَالَى فَهِيَ مُتَسَاوِيَةٌ مِنْ حَيْثُ تَعَلُّقُ العِلْمِ بِهَا، فَأَشْرَفُهَا مَقَاماً مَا بَرَزَ مِنْهَا لِلْوُجُودِ فَاتَّصَفَ بِالوُجُوبِ(١) لِكَوْنِهِ قَدْ تَخَصَّصَ بِالإِرَادَةِ العَلِيَّةِ وَتَعَلَّقَ بِهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالـمَوْجُودَاتِ كَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ مِنَ الصِّفَاتِ الأَزَلِيَّةِ، وَقَدْ امْتَنَّ اللهُ بِذَلِكَ عَلَى العِبَادِ لِمَا أَنَّ عَامَّةَ النِّعَمِ فَرْعُ نِعْمَةِ الإِيجَادِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٨]، وَأَشْرَفُ مَا بَرَزَ لِلْوُجُودِ هُوَ النَّوْعُ الإِنْسَانِيُّ وَمَا قَامَ بِهِ مِنَ الأَعْرَاضِ لِـمَا فِي اسْتِعْدَادِهِ مِنَ الكَمَالَيْنِ العِلْمِيِّ وَالعَمَلِيِّ الَّذَيْنِ هُمَا مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى وَطَاعَتُهُ؛ إِذْ هُمَا أَصْلٌ لِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ بِرَحْمَتِهِ تَعَالَى؛ قَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وَأَشْرَفُ النَّوْعِ الإِنْسَانِيِّ: أَهْلُ الإِيمَانِ مِنْهُ؛ لِظُهُورِ مَا فِي اسْتِعْدَادِهِمْ مِنَ القُوَّةِ إِلَى الفِعْلِ وَمِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ**﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وَأَشْرَفُهُمْ: مَا خُصَّ مِنْهُ بِالوَلَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ لِبُلُوغِهِ الكَمَالَ بِالعِنَايَةِ الأَزَلِيَّةِ وَارْتِفَاعِهِ بِهَا إِلَى الـمَرَاتِبِ السَّنِيَّةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [يونس: ٦٢].

وَأَشْرَفُ أَهْلِ الوَلَايَةِ: مَا كَانَ فِيهِمْ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالـمُرْسَلِينَ؛ لِـمَا انْضَمَّ إِلَى كَمَالِـهِمْ مِنْ تَكْمِيلِ الأُمَّةِ؛ إِذْ النِّعْمَةُ الـمُتَعَدِّيَةُ أَشْرَفُ نِعْمَةٍ، وَبِهَذَا يَتَحَقَّقُ

(١) يعني فاتصف بالوجوب العرَضي، ويقابله الوجوب الذاتي. ولا مانع من اتصاف الأمر الواحد بالإمكان الذاتي والوجوب العرضي، وإنما المحال اتصافه بالإمكان الذاتي والوجوب الذاتي.



ثُبُوتُ العِصْمَةِ لِلْأَنْبِيَاءِ دُونَ مَنْ لَهُ مَحْضُ الوَلَايَةِ ـ وَإِنْ شَمِلَهُمْ فَحْوَى الوَلَايَةِ وَالكَمَالِ ـ لِأَنَّ مَقَامَ التَّكْمِيلِ يَسْتَلْزِمُ لُزُومَ الكَمَالِ لَهُ وَعَدَمَ انْفِكَاكِهِ ـ بِالقُوَّةِ وَالفِعْلِ ـ عَنْهُ؛ وَإِلَّا لَاحْتَاجَ الـمُكَمِّلُ إِلَى مُكَمِّلٍ وَحَصَلَ التَّسَلْسُلُ وَهُوَ بَاطِلٌ.

فَظَهَرَ أَنَّ كَمَالَ الوَلِيِّ وَإِنْ لَـمْ يَنْفَكَّ عَنِ البَعْضِ فِعْلًا فَهُوَ مُنْفَكٌّ قُوَّةً، فَيَكُونُ مَحْفُوظاً لَا مَعْصُوماً؛ لِكُمُونِ النَّقْصِ فِي اسْتِعْدَادِهِ، وَأَمَّا الأَنْبِيَاءُ فَإِنَّهُمْ مَعْصُومُونَ لَيْسَ فِي اسْتِعْدَادِهِمْ نَقْصٌ بِحَالٍ، وَقَدْ أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِمْ وَنَفَى عَنْهُمْ غَوَائِلَ الضَّلَالِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٨٩ ـ ٩٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠].

وَأَشْرَفُ الأَنْبِيَاءِ وَالـمُرْسَلِينَ هُوَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِاسْتِكْمَالِهِ وَصْفَ الكَمَالِ الإِنْسَانِيِّ؛ بِدَلِيلِ عُمُومِ رِسَالَتِهِ وَشُمُولِ التَّكْمِيلِ لِأَهْلِ الكَوْنَيْنِ، وَلِذَلِكَ لَـمْ يَكُنْ بَعْدَهُ نَبِيٌّ، فَإِنَّهُ لَـمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ عَنْ رِسَالَتِهِ لِيُحْتَاجَ فِي التَّكْمِيلِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى نَبِيٍّ آخَرَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

وَبَيْنَ كُلٍّ مِنْ هَذِهِ الـمَقَامَاتِ مَرَاتِب فِي الشَّرَفِ وَالفَضْلِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ، وَلَا يَتَأَتَّى رِعَايَةُ حَقِّ الشَّرَفِ لَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلْأَنْبِيَاءِ وَالـمُرْسَلِينَ بِمُقْتَضَى



الإِيمَانِ بِهِمْ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَا يَجِبُ فِي حَقِّهِمْ وَمَا يَجُوزُ وَمَا يَسْتَحِيلُ وَباعْتِقَادِ ذَلِكَ، (وَ) الَّذِي نَعْتَقِدُ أَنَّهُ (**يَجِبُ فِي حَقِّ**) عَامَّةِ (**الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ**) عَلَى نَبِيِّنَا وَ (**عَلَيْهِمُ**) مِنَ اللهِ تَعَالَى (**الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**) هُوَ (**الصِّدْقُ**) فَلَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِلَّا مَا طَابَقَ الوَاقِعَ، عَالِمِينَ بِهِ؛ لِمَا سَبَقَ لَهُمْ مِنْ ثُبُوتِ العِصْمَةِ، وَلِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ مَفْهُومُ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، فَثُبُوتُهُ لِمَنْ ثَبَتَ لَهُ النُّبُوَّةُ وَالرِّسَالَةُ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ وَاجِبٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤].

(وَ) كَذَلِكَ نَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَجِبُ فِي حَقِّهِمُ (**الأَمَانَةُ**) فَلَا يَكْتُمُونَ شَيْئاً مِمَّا أَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَلَا مِمَّا ائْتَمَنَهُمْ عَلَيْهِ العِبَادُ، وَلَا يَتَخَلَّقُونَ بِشَيْءٍ مِنَ المُخَالَفَاتِ؛ لِمَا سَبَقَ مِنْ ثُبُوتِ العِصْمَةِ لَهُمْ، وَلِأَنَّ عَامَّةَ أَفْعَالِ العِبَادِ إِنَّمَا تَكُونُ حَسَبَ مَا فِي الجِبِلَّةِ مِنَ الاسْتِعْدَادِ، وَلَيْسَ فِي اسْتِعْدَادِ الأَنْبِيَاءِ شَيْءٌ مِنَ النَّقَائِصِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، فَوَجَبَ لَهُمْ ضِدُّ ذَلِكَ مِنَ الأَمَانَةِ، وَبِهَا كَمَالُ المَزِيَّةِ، وَلِأَنَّ المَطْلُوبَ مِنْ إِرْسَالِهِمْ إِنَّمَا هُوَ تَكْمِيلُ الأُمَّةِ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ، فَلَوْ كَتَمُوا شَيْئاً لَحَصَلَ النَّقْصُ مِنْهُ وَتَعَذَّرَ التَّكْمِيلُ بِهِ وَانْتَفَى وَصْفُ النُّبُوَّةِ؛ إِذِ المَفْهُومَانِ مُتَلَازِمَانِ، وَقَدْ ثَبَتَ لَهُمُ النُّبُوَّةُ، فَوَجَبَ اتِّصَافُهُمْ بِالأَمَانَةِ.

(وَ) مِمَّا نَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَجِبُ فِي حَقِّهِمْ (**تَبْلِيغُ**) كُلِّ (**مَا أُمِرُوا بِإِبْلَاغِهِ**) لِلْأُمَّةِ مِنْ غَيْرِ تَوْخِيرٍ وَلَا تَسَاهُلٍ، بَلْ يَقُومُونَ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَنَحْوِهِ بِتَبْلِيغِهِ فَوْراً؛ لِمَا ثَبَتَ لَهُمْ مِنَ العِصْمَةِ، وَلِأَنَّ التَّبْلِيغَ هُوَ مَدَارُهُمْ، فَعَدَمُ انْفِكَاكِهِ عَنْهُمْ ضَرُورِيٌّ، وَلِمَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ التَّبْلِيغِ مِنْ نِسْبَةِ الجَهْلِ وَالعَبَثِ لِمُرْسِلِهِمْ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ! فَإِنَّ الجَهْلَ مِنَ النَّقَائِصِ، وَهُوَ مُحَالٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، قَالَ عَزَّ مِنْ

قَائِلٍ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه: ٧]، وَالعَبَثُ كَذَلِكَ فَهُوَ مُحَالٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى أَيْضاً؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨].

وَقَدْ أَثْبَتَ اللهُ تَعَالَى لِعَامَّةِ الرُّسُلِ وُجُوبَ التَّبْلِيغِ؛ إِذْ جَعَلَ الإِرْسَالَ حُجَّةً عَلَى الأُمَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥]، وَلَيْسَتِ الحُجَّةُ فِي الحَقِيقَةِ إِلَّا تَبْلِيغهُمْ عَلَى المُخْتَارِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

(وَ) حَيْثُ ثَبَتَ لَهُمْ وُجُوبُ الصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ وَتَبْلِيغُ مَا أُمِرُوا بِهِ ثَبَتَ أَنَّهُ (يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمْ) صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ (أَضْدَادُ هَذِهِ الصِّفَاتِ) لِاسْتِحَالَةِ الجَمْعِ بَيْنَ الأَضْدَادِ، فَإِنَّ كُلَّ صِفَةٍ غَير مُنْفَكَّةٍ يَسْتَلْزِمُ انْتِفاءُها ضِدَّهَا ضَرُورَةً، وَلِمَا سَبَقَ مِنْ ثُبُوتِ العِصْمَةِ لَهُمْ عَنْ عَامَّةِ النَّقَائِصِ، (وَ) لَا شُبْهَةَ أَنْ أَضْدَادَ هَذِهِ الصِّفَاتِ (هِيَ) أَعْظَمُ النَّقَائِصِ، بَلْ أَصْلٌ لِعَامَّتِهَا.

فَضِدُّ الصِدْقِ هُوَ (الكَذِبُ) وَقَدْ تَوَعَّدَ اللهُ عَلَيْهِ بِأَعْظَمِ العَذَابِ الَّذِي عَذَّبَ بِهِ أَشْقَى الخَلْقِ إِبْلِيسَ اللَّعِينَ وَهُوَ اللَّعْنَةُ ـ وَالعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَى ـ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى لَهُ: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ﴾ [الزمر: ٦٠].

(وَ) ضِدُّ الأَمَانَةِ هُوَ (الخِيَانَةُ) وَقَدْ نَزَّهَهُمْ تَعَالَى عَنْ مُوَالَاةِ أَهْلِهَا، فَضْلًا عَنِ الاتِّصَافِ بِهَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ [النساء: ١٠٥].

(وَ) ضِدُّ تَبْلِيغِ مَا أُمِرُوا بِإِبْلَاغِهِ هُوَ **(كِتْمَانُ شَيْءٍ مِمَّا أُمِرُوا بِإِبْلَاغِهِ)** وَقَدْ شَهِدَ اللهُ تَعَالَى لَهُمْ بِإِبْلَاغِهِمْ لِلْأُمَّةِ حَيْثُ جَعَلَهُمْ شُهَدَاءَ عَلَى الأُمَّةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا** ﴾ [النساء: ٤١]، فَهُمْ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ مُبَرَّؤُونَ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ يَحُطُّ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الـمَقَامَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَعْصُومُونَ لَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُمْ صُدُورُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

وَكُلُّ مَا وَرَدَ عَنْهُمْ مِمَّا يُفْهِمُ الـمَعْصِيَةَ فَهُوَ عِصْيَانٌ صُورِيٌّ، لَا عَنْ عَقْدِ عَزْمٍ حَقِيقِيٍّ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا** ﴾ [طه: ١١٥]، عَلَى أَنَّ نَحْوَ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى الوُقُوعِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَلَيْسَ العِصْمَةُ قَبْلَهَا إِلَّا عَنِ الكُفْرِ لِعَامَّةِ الأَنْبِيَاءِ، إِذْ الـمَعْصِيَةُ لَا تَكُونُ مَعْصِيَةً إِلَّا بَعْدَ النُّبُوَّةِ وَنُزُولِ الوَحْيِ بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ، فَوُقُوعُ الـمَنْهِيِّ عَنْهُ بِالوَحْيِ مِنَ النَّبِيِّ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ وَنُزُولِ الوَحْيِ عَلَيْهِ لَا يُنَافِي العِصْمَةَ.

وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ كَلِيمِهِ مُوسَى ـ صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ ـ وَقَتْلِهِ النَّفْسَ، وَجَوَابِهِ لِعَدُوِّ اللهِ فِرْعَوْنَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ: ﴿ **قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ** ﴾ [الشعراء: ٢٠] أَيْ قَبْلَ الوَحْيِ وَالنُّبُوَّةِ.

وَلَا يَجُوزُ لَنَا تَسْمِيَةُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ذَنْباً لِأَنَّهُ تَعَالَى قَدْ صَرَّحَ بِمَغْفِرَتِهِ، وَلَيْسَ بَعْدَ الـمَغْفِرَةِ مِنْ ذَنْبٍ، فَنَعْتَقِدُ اسْتِحَالَةَ هَذِهِ النَّقَائِصِ وَنَحْوِهَا فِي حَقِّهِمْ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.



(وَ) نَعْتَقِدُ أَنَّهُ (يَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ) ـ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ـ مِنَ الأَعْرَاضِ اللَّازِمَةِ لِهَذَا النَّوْعِ الإِنْسَانِيِّ بِحَسَبِ التَّرْكِيبِ البَشَرِيِّ وَتَأَلُّفِ الرُّوحِ بِهِ إِنَّمَا هِيَ (**الأَعْرَاضُ البَشَرِيَّةُ**) الوَاقِعَةُ بِحَسَبِ المِزَاجِ التَّرْكِيبِيِّ، وَتِلْكَ (**التِي لَا تُنْقِصُ شَيْئاً مِنْ مَرَاتِبِهِمْ العَلِيَّةِ**) فِي الكَمَالِ العِلْمِيِّ وَالعَمَلِيِّ الوَاصِلَةُ فِي ذَلِكَ إِلَى مَقَامِ التَّكْمِيلِ لِلْغَيْرِ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الرُّتَبُ إِلَّا بِاعْتِبَارِ رُوحَانِيَّتِهِمْ الزَّكِيَّةِ وَاسْتِعْدَادَاتِهِمْ القَوِيَّةِ، لَا بِالصُّوَرِ التَّرْكِيبِيَّةِ وَإِنْ كَانَ لِأَجْسَادِهِمْ الشَّرِيفَةِ زِيَادَةُ مَزِيَّةٍ.

فَمِنَ الأَعْرَاضِ المُتَعَلِّقَةِ بِالإِنْسَانِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ حَيْثُ نَفْسُ الجِسْمِ (**كَالمَرَضِ**) فَإِنَّهُ خُرُوجُ المِزَاجِ عَنْ مُقْتَضَى كَمَالِ التَّرْكِيبِ البَشَرِيِّ بِحَسَبِ الطَّبِيعَةِ، (**وَالجُوعِ**) فَإِنَّهُ اسْتِدْعَاءُ تَنَاوُلِ غِذَاءٍ يَقُومُ بِهِ هَذَا التَّرْكِيبُ البَشَرِيُّ ضَرُورَةً، (**وَالنِّكَاحِ**) فَإِنَّهُ فِعْلٌ يَنْشَأُ عَنْ بَاعِثٍ طَبِيعِيٍّ بِهِ يَتَأَتَّى التَّوَالُدُ وَالتَّنَاسُلُ وَبَقَاءُ الجِنْسِ[1]، (**وَقَضَاءِ الحَاجَةِ**) فَإِنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ اسْتِفْرَاغِ فَضَلَاتِ الأَغْذِيَةِ النَّاشِئِ عَنْ تَنَاوُلِهَا لِضَرُورَةِ بَقَاءِ البِنْيَةِ البَشَرِيَّةِ.

وَعَامَّةُ هَذِهِ الأَعْرَاضِ تَرْجِعُ عِنْدَ الزِّيَادَةِ إِلَى خُرُوجِ المِزَاجِ عَنْ مُقْتَضَى التَّرْكِيبِ الطَّبِيعِيِّ الكَائِنِ عَنْ حِكْمَةٍ إِلَهِيَّةٍ بَاهِرَةٍ، ثُمَّ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ الحَقَارَةَ وَالذُّلَّ ـ كَالجُذَامِ وَالبَرَصِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ـ فَغَيْرُ لَائِقٍ بِشَأْنِهِمْ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَمَا عَدَاهُ مِنَ الأَعْرَاضِ البَشَرِيَّةِ فَهُوَ الجَائِزُ فِي حَقِّهِمْ، بَلْ جَوَازُهُ فِي حَقِّهِمْ مِنَ الوَاجِبِ؛ لِمَا أَنَّهُ لَا يَتَأَتَّى التَّبْلِيغُ وَالتَّحَدِّي الوَاجِبَيْنِ

---

(١) يعني جنس الإنسان.

إِلَّا بِهِ لِيَتَحَقَّقَ مُسَاوَاتُهُمْ ـ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ـ لِلْأُمَّةِ فِي البَشَرِيَّةِ وَتَمَيُّزُهُمْ عَنْهَا بِالنُّبُوَّةِ وَظُهُورُ المُعْجِزَاتِ عَلَى أَيْدِيهِمْ، إِذْ لَوْ كَانَ النَّبِيُّ مَلَكاً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مُشَابَهَةٌ بِالبَشَرِ فِي الأَعْرَاضِ لَمَا كَانَ مَا يَظْهَرُ عَلَى يَدِهِ مُعْجِزاً؛ إِذِ العَجْزُ هُوَ مَا أَعْجَزَ أَمْثَالَهُ عَنِ الإِتْيَانِ بِهِ لِكَوْنِهِ خَارِقاً، وَإِلَّا فَعَجْزُ البَشَرِ عَنِ الَّذِي يَتَأَتَّى مِنْ أَقَلِّ الحَيَوَانَاتِ أَمْرٌ بَدِيهِيٌّ، فَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ المَزِيَّةُ لَهُ عَلَيْهِ، فَجَوَازُ هَذِهِ الأَعْرَاضِ البَشَرِيَّةِ مِمَّا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ المُعْجِزَةُ عِنْدَ التَّبْلِيغِ وَالتَّحَدِّي، وَمَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ الوَاجِبُ وَاجِبٌ، فَجَوَازُ الأَعْرَاضِ البَشَرِيَّةِ عَلَيْهِمْ وَاجِبٌ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [الكهف: ١١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمِنَ الأَعْرَاضِ المُتَعَلِّقَةِ بِالإِنْسَانِ مَا لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِنَفْسِ الجِسْمِ وَنَحْوِ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي **(لَا)** يَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ ـ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ـ كَفَسَادِ العَقْلِ الَّذِي هُوَ **(الجُنُونُ)** وَكَفَسَادِ شَيْءٍ مِنَ الحَوَاسِّ الخَمْسِ الظَّاهِرَةِ أَوْ البَاطِنَةِ، فَلَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ ذَلِكَ **(وَ)** لَا **(نَحْوُهُ)**؛ لِمُنَافَاتِهِ لِلْكَمَالِ العِلْمِيِّ وَالعَمَلِيِّ الَّذَيْنِ هُمَا فِي الحَقِيقَةِ مَعْنَى النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَمَدَارُهُمَا، وَقَدْ ثَبَتَ لَهُمْ ـ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ـ النُّبُوَّةُ وَالرِّسَالَةُ، فَانْتَفَى ذَلِكَ بِطَرِيقِ اللُّزُومِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ﴾ [التكوير: ٢٢ ـ ٢٤]، فَهُمْ ـ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ـ أُمَنَاءُ اللهِ تَعَالَى

فِي أَرْضِهِ عَلَى وَحْيِهِ وَتَبْلِيغِهِ لِلْعِبَادِ، فَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِمْ مَا يُخِلُّ بِكَمَالِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

هَذَا مَا قَدَّرَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ بِتَيْسِيرِ كِتَابَتِهِ مِنْ شَرْحِ هَذِهِ العَقِيدَةِ الـمُفِيدَةِ الـمُبَارَكَةِ الحَمِيدَةِ، وَأَنَا أَتَوَسَّلُ إِلَى اللهِ بِنَبِيِّ الرَّحْمَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصاً لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، مَقْبُولًا لَدَيْهِ، سَبَباً لِرِضَاهُ عَنَّا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ وَيَنْفَعَ عَامَّةَ الـمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ.

وَالـمَأْمُولُ مِـمَّنْ وَقَفَ عَلَيْهِ أَنْ يُصْلِحَ مَا فِيهِ مِنْ خَلَلٍ، وَأَنْ يُسْعِفَ مُؤَلِّفَهُ وَكَاتِبَهُ بِالدُّعَاءِ بِخَاتِـمَةِ الخَيْرِ وَحُسْنِ العَمَلِ وَعَامَّةِ الـمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَـمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَامَّةِ الأَنْبِيَاءِ وَالـمُرْسَلِينَ وَآلِهِمْ وَصَحْبِهِمْ وَالتَّابِعِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ مَعَ الأَرَضِينَ.

نجز بفضل الله تعالى ومعونته على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى كرم الكريم الجواد علي بن سليمان الكردي الشافعي القصيري غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولمن دعا لهم بمحمد وآله وصحبه والتابعين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين آمين في سنة ١٠١٢هـ.

